إنسانيات العدد 08، ماي – أوت 1999، ص.ص. : 39-40

الحركة الأمازيغية في المغرب : دفاع عن هوية ثقافية، مطالبة بحق الأقليات أم بديل سياسي؟

مرغريت رولاند

شهدت السنوات العشر الأخيرة على الساحة السياسية، بزوغ حركة جديدة بالمغرب، الحركة البربرية بل الأمازيغية كما يحلو لها أن تسمِّي نفسها. سبق لها أن ظهرت في السنة 1967 بإنشاء ***الجمعية المغربية للبحث و التبادل الثقافي*** في الرباط. تعلق الأمر في تلك الفترة بالدفاع عن الثقافة و الفنون الشعبية. كانت المسألة البربرية حينئذ تابو.

يبدو اثر الواقع الدولي أساسيا في تفسيرٍ صعود المطالب الثقافية و الانتمائية ضمن الحركات الاجتماعية للسنوات الثلاثين الأخيرة موسومةً بخيبة الأمل أمام الأيديلوجيات التي حركت جيل غداة الاستقلال، و الذي ينتمي إليه أغلب منشطي الحركة البربرية الحالية. هكذا تشكل هزيمة العراق، كما التقلبات في أوروبا الشرقية، منعرجا حقيقيا في اكتساب الوعي بالانتماء الأمازيغي. لا يمكن الحديث عن حركة بربرية موحدة في المغرب. إنها تتميز بكثرة أهدافها، باستراتيجياتها، بـممثليها. اِنطلقت من الوسط الجامعي لتتأكد من خلال فنانيها و لتطور استراتيجيات جمعوية تتجاوز، بالنسبة إلى بعضها، الإطار الوطني و تنشط، في بعض الأحيان، أحزاباً سياسية.

لتعود المسألة الأمازيغية إلى الواجهة، يجب انتظار بداية الانفتاح النسبي للحقل السياسي مع إنشاء ***المنظمة المغربية لحقوق الإنسان*** في 1988، و مع الدفع الذي حازتـه ***الجمعية المغربية لحقوق الإنسان***، و أكثر من ذلك، ما كان للصدمة التي أحدثتها حرب الخليج من آثار. يشكل ميثاق أكادير (1991) أول بيان "وطني" للحركة الثقافية لأكادير، بالمطالبة بسياسة لغوية ديمقراطية أساسها الاعتراف و احترام الحقـوق اللغوية و الثقافية المشروعة لمختلف مكونات الشعب المغربي لإمكانية بناء ثقافة وطنية ديمقراطية"*. كان مؤتمر فيينا الدولي لحقوق الإنسان (جوان 1993) مناسبة لتدويل المسألة الأمازيغية، بتقديم مذكرة حول الحقوق الثقافية و اللغوية الأمازيغية. يرجع الأمازيغيون في المغرب، على غرار ***لقبايل*** في الجزائر، إلى المجتمع البربري الأصلي منوالا ديمقراطيا و ينتجون خطابا "أصيلا" غير مستورد من الغرب. يتم هكذا تفادي الرجوع إلى الظهير البربري و مواجهة الاتفاق حول " أمة عربية " بـ " أمة " أخرى.

* لا نجد أثرا للمزدوجتين (") قبل هذا .

الهدف الأساسي هو ترقية اللغة و الثقافة الأمازيغيتين في المجال الاجتماعي المغربي، و لكن، من خلال هذا، يتعلق الأمر بتغيير مكانة البرابرة في مجال الدولة بما في ذلك الإدارة و التعليم و كذا تكسير الخطاب ***العربي*** الذي يؤقلل** البرابرية. يظهر، حينئذ، من خلال الخطاب حول التعددية و الديمقراطية، مطلب بمواطَنة جديدة. يكمن وراء حق الاعتراف بالشعب الأمازيغي الحق في الديمقراطية.

لم تتدخل الدولة المغربية ما بقيت المطالب محصورة في اللغة و الثقافة ومحدودة في الوسط الجامعي. في غشت 1994 ألقى الملك خطابا أضفى الشرعية على المطلب الأمازيغي و اقترح إدخال اللهجات الأمازيغية في التعليم الابتدائي على الأقل.كان هدفه أولا تهدئة اللعب، ثم تمكين بروز تيار ينافس الحركة الإسلامية. مع ذلك، فإن خطاب الملك الانفتاحي لم يمنع اعتقال المناضلين و لا الحظر الذي ضرب التجمعات الثقافية، و لم يكن لوعود الملك بإدخال اللغة البربرية في التعليم أي أثر.

على الرغم من ضآلة الحركة الأمازيغية المغربية مقارنة بها في الجزائر، إلا أنـها تشغل حيِّزا هاما في الحقل الثقافي و الجمعوي و السياسي. و لكنها تبقى موسومة بطابع الالتباس. أمام فضاء سياسي مغلق و اتفاقي، هل ننطلق من الثقافي لخلق فضاء احتجاجي يمكنه أن يتحول، لاحقا، إلى حركة سياسية من أجل المطالبة — بدعوى التنوع و التعددية – بتغيير شامل للمجتمع أو على العكس من ذلك، ننغلق في ***الجماعة*** و نفرض منوالا إقصائيا و وحدويا قد يؤول إلى فشل النقاش التعددي.

نقله إلى العربية : أحمد حمومي

** أقلل، يؤقلل بمعنى صيرها أقلية.